



د. نعمات الطراونة \*

## البيادر

في موسم الحصاد ترمى بيادر القش على قمم التلال، يواكب هذا الموسم تقاليد وطقوس خاصة مثل إقامة عرائش الحصادين، والسمر على صوت الهجيني. في هذا الموسم يُفصل القمح عن القش، ويرافق ذلك صناعات يدوية تستفيد من القش الذي يُجبل بالطين، كبناء الطوايين. وفي هذا النص نجد صورة نابضة بالتفاصيل توثق لحياة أهل البيادر وللمفردات المُستخدمة والتي تندرج تحت مسمى التراث غير المادي.

الحصادين.  
تتعالى أصواتهم كل مساء بالهجيني والسمر (هَبّ هوا يا ياسين، يا عذاب الدّراسين، هَبّ هوا يا حنيني، صار الظعن ظعيني)، ويتبادلون الصّيحات بالدعوة لشرب كأس من الشاي حتى يهدأ الهواء قليلاً: "تعال نشرب كاسة شاي وملحّقين على الشغل"، وعلى (ضو القمر) تلمح عصا مذرّاة الشايب عبدالله وهو يشرّع الطيّاب<sup>(1)</sup> في الفضاء ليفصل التبن عن القمح، واضعاً العوّاذيل<sup>(2)</sup>، وحوله شبح عمّي

تتربّع بيادر القش على قمم التلال المحيطة في قرية "أمّ حماط" كأنها القباب، فكل عائلة لها تلة معروفة (تُبْدِر) عليها تُعرف باسم: بيادر (عيال علي)، وبيادر (عيال جمعة)، وبيادر (عيال طاعة)، وبيادر (عيال عايد)، ولا ننسى بيادر النوايسة، وكثيراً ما كانت الجيرة في البيوت تفرض على بعضهم أن يكونوا جيراناً حتى على البيدر، وتخالط هذه البيادر مجموعة من بيوت الشّعْر الصغيرة التي أعدّتها النسوة خصيصاً لهذه المرحلة ويُطلق عليها عريشة

\* كاتبة وباحثة أردنية

ne\_awad@yahoo.com



يَمْرَحُ<sup>(3)</sup> على العُرْمَةِ<sup>(4)</sup> بمكنسة من السَّيْخِ<sup>(5)</sup> رَبَّصَتْهَا أُمِّي تحت حجر كبير مدّة يومين. تدير أُمِّي الطابون؛ لأنّ مستلزماته متوافرة، جدّي: "خَلِي الظل يطفح شرق العريشة عشان نعجن الطينة، يا بنيتي هاتِ شوية تبن أو قَارُوح<sup>(6)</sup> خَلينا نخلطها مع الطينة، لا تنسي تجيي التراب من تراب الخلد من الحدّ، منخل جاهز"، وما هي إلا لحظات حتى أحضر التبن من البيدر، وتحضر أُمِّي التراب، تُنزل عمّي قلنات الماء من فوق الحمار بعد أن وردت على البئر الكبيرة، وبخفة يد الحاذق الماهر في صناعته تعجن جدّي الطين وتدير الطوف الأول من الطابون وتتركه ليحفّ قبل أن تشرع في بناء الطوف الثاني عليه، وتغطي بقية الطين حتى تختمر، وتستمرّ العملية قرابة ثلاثة أيام حتى تدير بابه وهو الطوف الأخير، وقد أخذتُ قليلاً من الطين لأعمل كما تعمل جدّي، فأنا التلميذ البارِع في التقليد، لكنها تنتهزني: " اقعدي يا بنت لا تخزّي الطينة، حبر فضية المعانية"<sup>(7)</sup>.

أنهت جدّي عمل الطابون في الفترة التي أعدّ بها عمّي وأُمِّي مكاناً له في (القعير)<sup>(8)</sup> الذي يقع شرق البيادر، ووضعت فيه (الرّضاف) الذي جمعناه من جانب الشارع الوحيد الذي يخترق قرينتنا، ثم لَقَّته ببعض مخلّفات الأغنام والعُقْدَة والتبن ودثّرتَه ببقايا النار التي جهّزتها مسبقاً وتركته يهجم حتى اليوم الثاني، لتعيد مرّة أخرى تزييله ليحمي أكثر لتباشر الخبز به في المساء أو اليوم الثاني، ويعلو صوتها منادية "أم صباحا": "هاتِ كان لبناتك عجينة،

بعد في الطابون حمّ.."

يقع غربي بيدرنا بيدر خال والدي سالم رحمه الله، بجانبه خيمة أبي جعفر التي كان يبيع بها لأصحاب البيادر بعض القسماط والكعكبان والعلكة (حارّة الطعم لأنّها ممزوجة بالقرفة) وحلو أبو ردين، وبعض الأسبرين الأحمر الذي كانت تستخدمه أُمِّي لإخوتي عندما كانت ترتفع درجة حرارة أحدهم، وزجاجات زيت الخروع، وكثيراً ما كان الثمن هو القمح، فخالي سالم عندما أرسلتني جدّي لأشتري لها علكة ناداني وأعطاني (سَرِيَّة)<sup>(9)</sup>، وقد كان يكيل له في العُرْمَة الحاج سليمان رحمه الله، وكانت العمّة مريم رحمها الله تُخيط شواتل القمح بالمخاط وخيط المصيص، والحاج سليمان يتمم بكلمات يعدّها عدد النُصمِد (نُصّ- مدّ): "الله واحد ماله ثاني، اثنين... يا مويّ الدّين، ثلاثة... يا الله الثبات، أربعة... تريح من الله، خمسة... فرض النبي خمسة، ستة... سترك يا الله، سبعة... سمحة، ثمانية... يا الله الأمانة، تسعة... تسعد من الله، عشرة... عشرة رسول الله... وقد حلّت البركة بكومة كبيرة من شواتل القمح أبو خط أحمر.

من الخارج صوت يوسف منادياً: " يا حجّة... يا أم عوض، ودّي حماركم أحطه (زَابُوط)<sup>(10)</sup> ودّي أدرس هالكرسنة قبل ما يوكلها الحلال"، جدّي من (فَهَق)<sup>(11)</sup> العريشة: "خذه يا خي بس يمكن نحتاجه الظُّهر (العَيْل) يوُدّي زاد للراعي عليه"، "والله يا حجه لَمّيت الحمير وطلبت موسى حمارهم عشان أربطه (دَائُور)<sup>(12)</sup> وما أعطاني، غير أخذت حمار عطالله".

حقيبة، ورابع لا يحمل شيئاً ولكنه يعتمد على (سَلِيل كَبْرَه) <sup>(15)</sup> ليحمل به ما يشتريه، وما هي إلا لحظات حتى يتفرّق الجميع بعد أن شربوا الشاي عائدين، وقد وتواعدوا على موعد آخر لحضور التاجر، ببعض حبّات البندورة، وكمية من العنب، وحبّات ففوس أخالها لضخامتها أنّ الحبة الواحدة تكفي لعائلة كبيرة، وقد كان أبي حريصاً وهو يُوزّن للجميع ألا تكون الكمية بناء على طلبهم وإثماً على حسب أفراد أسرهم حتى تكفي البضاعة للجميع، ثم ينصرف ضيفنا بعد أن تناول طعامه الذي غالباً ما يكون ديكاً بلدياً من فرخ هذا العام أعدته له أمي في الطابون مع آخر ديرة خبز.

### الهوامش:

- (1) يشرع الطيباب: يذري التبن ليفصله عن الحب.
- (2) العواذيل: (حجارة توضع بين العرمة والتبن ليربو بعدها التبن).
- (3) يمرح: يُزيل الأعواد الخشنة (عقد القش) بواسطة شجيرة صغيرة.
- (4) العرمة: كومة القمح المصفي من التبن.
- (5) السّيح: نبات شوّكي كان يُستخدم لتنظيف الأرض (كنسها).
- (6) الفاروح: التبن الناعم الذي يتطاير بعيداً عند عملية فصل التبن عن الحبّ.
- (7) حبر فضية المعانية: دعوة بالمرض.
- (8) القعير: حفرة واسعة في الأرض.
- (9) شريّة: كمية من القمح تُعطى للأطفال للشراء بها.
- (10) الرابوط: حمار يُربط على الطرف.
- (11) فهق: الفتحة في رواق البيت بين خلّالين.
- (12) دايور: حمار يُربط على الطرف، والرابوط والدايور ينظمان حركة الحمير أثناء عملية درس القش.
- (13) منطم: ساكت.
- (14) صوّرت: أوجعت رؤوسنا بصوتك العالي.
- (15) شليل بره: طرف ثوبه.

يأخذ الحمار وما هي إلا لحظات حتى تسمع صوته يعلو مرّة أخرى في السّباب والسّتم على الحمير: "جرّول، يا مالا أبو اطحّيل".... يمازحه جاره أبو محمد وهو يقبل الطيّاب بالمرّبع بعد أن دَرَسَه لهم أبي على (التّورج) خلف التراكاتور الذي كُنّا نتسابق للجلوس عليه على الرّغم من صرير صوته المزعج، "أبو اطحّيل يطحّلك، اشتغل وأنت (منطم) <sup>(13)</sup>، (صوّرت) <sup>(14)</sup> رؤوسنا". قبل شروق الشمس، يربط حميره في وتد حبل العريشة لِرُقّة البيت اليسرى، ويتنحّج: "أبو حاتم"، أبي: "فوت جاي"، أرفع رأسي من المنام، وربما شاركتي في الحركة بعض إخوتي لنرى ذاك القادم من عراق الكرك يحمل (سحاجير) الخشب (الحُمول)، يضعها على الأرض بمساعدة عمّي، وما هي إلا لحظات حتى تملأ رائحة أعواد الحبق والرّيحان التي يُغلف بها الرجل محتوى السّحاجير أرجاء المكان، وتتغلغل في فتحات أنوفنا لتنعش الصدور بشذاها.

تدخل أمي ويدها (جونة الخبز) التي صنعتها جدتي من قَصَل قمح الموسم الماضي، جدّتي أعدت إبريق الشاي على النار، تتناول أمي صحن ألمنيوم وتسرع نحو سقاء اللبن فتفتحه وتصبّ بعضاً من الرايب فيه وتربطه من جديد، وتضع من النصية ملعقة كبيرة من السمن في صحن آخر، فيتناولهما عمّي ويضعهما أمام الضيف مع بعض أرغفة خبز الطابون الذهبية. ها هم أهل البيادر من كل حدب وصوب ينسلون تجاه عريشتنا، منهم من يحمل صحنًا كبيرًا، وآخر يحمل نُصْمَد، وثالثة تحمل